عشية في رحاب مدرسة الشرف الإسلامية

عطاء الرحمن الندوي

إستيقظت على إسم الله وذكره مبكرا حسب العادة في ١٠ / ٨ / ٩٩م، وفرغت من الأعمال اللازمة والإعداد الكامل لصلاة الصبح ، ولما فرغت من الإعداد للذهاب إلى المسجد والمسجد قريب من بيتي إستيقظ إبني - سعيد عطا الفتاح (جرير) وهو إبن سنتين والنصف - مع أمه بسرعة كأنه فقد شيئا في الفراش ، لأنه رأى أباه يذهب إلى خارج البيت وهذا الذي لا يرضى عنه أبدا ، ويبكي دائما لكي يريد أن يكون مع أبيه في كل وقت من الأوقات وفي كل حين من الأحيان ، سواء كان يذهب إلى المكتب أو إلى السوق ، ولأجل ذلك يكون مع أبيه دائما في الذهاب والإياب ، وأبوه يصاحبه في المشي والمنام ، لأنه يريد أن يعلم ولده الصغير لغة القرآن ولغة الرسول ﷺ في صباه بدون أي تذبذب وبدون أي تلعثم ولأجل ذلك لا يتكلم معه إلا باللغة العربية ، وجرى على هذه العادة منذ ولادته ، وذلك في ٧ ديسمبر ١٩٩٦م حتى بدأ هذا الطفل يتكلم بالعربية ، فسأل أباه بالإعجاب أين تذهب يا أبي ؟ أنا أذهب معك ، وأجابه أبوه أذهب إلى المسجد ، فقال لأبيه : هل أذهب معك ؟ حيث أنه يفتح عينيه مرة ويغمض مرة أخرى لغلبة النوم ، فرد عليه أبوه قائلا : لا تذهب ، فأنا أرجع سريعا إلى البيت ثم خرج إلى المسجد وهو يبكي لا يدري كيف نام ومتى نام ، ولما رجع إلى البيت وجده نائما مع أمه ، ثم نام أبوه قليلا واستيقظ بمشية الله تبارك وتعالى في الساعة الثامنة مرة أخرى ، فخرج إلى المكتب وشغل فيه بالأعمال الدراسية والإدارية حتى نسي الأعمال الأخرى وذكريات صباح اليوم ، كما نسي المحادثة الطفولية التي جرت في البيت مع طفله ، ولما وجد فرصة ذهب إلى الأخ المكرم فضيلة الأستاذ يحي يوسف الندوي - مدير المعهد الإسلامي بنغلاديش - في الفترة الدراسية لتناول الشاي والمحادثة معه عن المعهد ونشاطاته التعليمية ، لأن الأخ الندوي يحبه حبا شديدا ، وهو يحبه في الله أولا و يقدم إليه الشاي كلما دخل عليه ثانيا، وهناك يقول الزوار فإن الأخ يحي يوسف الندوي يهتم بقول الرسول ﷺ الذي قيل حول إكرام الضيف أكثر مما يهتمه الآخرون " عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه " فلا يدري أيهما أسرع إلى القلب ؟ حب الشاي أم حب الأخ الندوي في الله ؟ ومما يجدر بالذكر بأن هناك أخ كريم له ولجميع أعضاء هيئة التدريس في المعهد وهو الأستاذ مسعود الرحمن، وهو بارع في تجهيز الشاي كما في التدريس والتعليم وتوطيد العلاقة الودية بين أهل العلم والكرم ، وكلما دخل عليه أحد يجهز الشاي بكل إهتمام وإخلاص فلأجل ذلك لا يستحي الزوار في طلب الشاي منه وإظهار الرغبة لتناول الشاي، ومن هنا إذا وجدت الفرصة فأحضر في المعهد لتناول الشاي إظهارا الحب لأهل المعهد وأسرته الكريمة ، فإذا شرب أحد الشاي في المعهد لا يسناه أبدا ، كأنه ما شرب في حياته مثل هذا الشاي ، ويشتاق إلى الشرب لديه دائما ، وهذا الذي يذهب بي إلى المعهد الإسلامي بين الفينة والفين مع أنني لا أظهر هذا الغرض ، و هناك ظهرت إرادة الله وغلبت على إرادة الناس ، وما وجدت الشاي هذا اليوم لأن الأستاذ مسعود الرحمن غير موجود في ذلك الحين فرجعت خائبا ونادما ، وهناك تحقق قول قائل " أنا أريد وأنت تريد والله يفعل ما يريد " .

ولما أردت أن أرجع من المعهد فخرج الأخ يحي يوسف الندوي معي إلى الباب الرئيسي إحتراما وإكراما وهذا من أسوته وكرمه ، فقال لي عند الوداع : إن الأخ عبيد القادر الندوي - المدير المؤسس لمدرسة الشرف الإسلامية الواقعة في منطقة سونار غاؤن التاريخية على بعد ٢٥ ك . م . من العاصمة - إتصل بالهاتف قبيل وقت ، ودعانا إلى مدرسته مساء اليوم، وأكد على الحضور معك إليها في المساء ، ولذلك أرجو منك أن تستعد للذهاب إليها ونرجع قبل المغرب إن شاء الله ، ولكنني اعتذرت إليه بهذا الشأن ، وقلت له لقد إعترض لي عارض كبير ، وهو أن البيت الذي إستأجرت وأسكن فيه منذ سنتين يجب علي أن أتركه وأستأجر بيتا آخر ، لأن صاحبه يريد أن يسكن فيه وحيدا من الشهر سبتمبر القادم ٩٩ م ، فلذلك وقعت في ورطة ، و أفتش بيتا كل يوم ولا أستطيع أن أحضر اليوم ، ولكن الأخ يحي الندوي أصبح مصرا على طلبه ، حتى قال : فأنا أقوم بقضاء حاجتك التي عارضت لك إن شاء الله ، وأفتش البيت معك وأتصل بالهاتف مع الأصدقاء والأحباب بهذا الشأن فسوف أجد البيت ، وأضاف قائلا إن القرآن الكريم يشير إلى مثل هذه الورطة بلسانه الخالد : ﴿ ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ وأنا لا أذهب إلى مدرسة الشرف الإسلامية إلا بك ، وعلى الرغم من ذلك كله فإنني ما رضيت بالسفر معه مع أنني أحرص كل الحرص على زيارة تلك المدرسة وأرغب كل الرغب في تحقيق هذه الإرادة ، ولكن ما استطعت أن أحقق هذه الأمنية بقلة الوقت والفرصة وكثرة الأشغال والأعمال ، ولما أكد الأخ يحي يوسف الندوي على الذهاب إليها قلت له نعم بالشفتين ولا بالقلب ، وبعد ذلك خرجنا في الساعة الواحدة ظهرا ، واكترينا مركبة وركبنا عليها حيث كانت تدور عيني على جدران البيوت والعمود على الشوارع كأنها أصبحت مثل عيون الغراب ولكن

دون جدوى ، ثم ركبنا الباص وأنا في تحين الفرصة للخلاص منه ، وقلت له مرات وكرات في الباص إذهب أنت واتركني اليوم ، وأذهب معك في يوم ما في المستقبل القريب إن شاء الله ، وهو ما كان راضيا بمثل هذا الكلام ، فجئنا معه إلى مكتب المجلة " الهدى " العربية الشهرية وأديت هناك بعض الواجبات وقمت بالمسؤوليات التي وقفت بسبب الحواجز الإدارية وكسرت هذه العثرات حتى بدأت تتحرك عجلة الأعمال الضرورية ، ثم ما أدينا صلاة الظهر إلا بشيء من التأخير ، وخرجت معه من المكتب إلى مدرسة الشرف الإسلامية ، وركبنا الباص مرة أخرى ووصلنا إليها حيث كان الطلاب قائمين للإستقبال والترحيب بنا وعلمنا أن الشيخ عبيد القادر الندوي ينتظر لنا بالإشتياق العظيم ، وفي ذلك الحين كانت صلاة العصر قائمة ، ثم شاركنا مع الجماعة ، وبعد الصلاة كنا جالسين في المسجد مع المصلين ، فرأينا الشيوخ والشبان والأطفال والغلمان يأتون إلى المسجد زرافات ووحدانا بأجنحة الشوق والرغبة ويتطلعون إلى الأمام والمنبر كأنهم يفتشون شيئا شوّقهم إلى الحضور في هذا المسجد من مسافات بعيدة ، وهناك علمنا بأن مدرسة الشرف الإسلامية تريد أن تنعقد إجتماعا منذ يومها الأول ولكن ما وجدت فرصة بسبب الأشغال البنائية والتعليمة وبسبب مرحلتها الإبتدائية مع أنها تنتظر لفرصة سانحة لتحقيق هذا الهدف الذي يمهد السبيل لتبادل الآراء مع أهل المنطقة وتوجه رسالتها الدعوية إلى عامة الناس وخاصتهم للحضور في مثل هذه المناسبة السارة حتى وجدت هذه الفرصة ولإخراج أهدافها القيمة إلى حيز الظهور ، ولتحقيق هذا الغرض فإنها تنعقد اليوم حفلة إستقبالية بقدوم رجل قلبه معلق بالمراكز الإسلامية والزاويات الروحية أينما رحل وأينما نزل ، وهو يزور المدارس والمساجد والمراكز والزاويات الإسلامية ويقدم إليها المساعدات المالية ويقوم بقضاء حاجاتها البنائية والمالية لقطع مسافاتها العلمية والدعوية ، وهو الشيخ أنيس الرحمن من أبناء هذه المنطقة التاريخية ورحل إلى بريطانيا قبل ٣٠ سنة ، ومع ذلك فإنه يزور قريته كلما وجد الفرصة ولو بعد مدة طويلة ، ويتجول من مكان إلى مكان ومن مؤسسة دينية إلى مؤسسة علمية أخرى ، ويتكلم مع الآباء والأجداد كما يتكلم مع الشبان والغلمان والأطفال في القرية ، ويفتقد شؤون اليتامى والمساكين والأرامل والفقرآء والمحتاجين ويطوف القرية كلها كما يحضر بيوت الأصدقاء والأقارب ويقضي أوقات طويلة مع الحوار معهم ، ولا يسنم في المفاوضة والجلوس كما رأينا في هذا اليوم حيث قضينا في هذا الجلوس من بعد صلاة العصر إلى صلاة المغرب ، وسمعنا منه أحاديث حول هذه المنطقة التاريخية حتى رفع المؤذن صوته لصلاة المغرب ثم أدينا صلاة المغرب مع الجماعة .

وبدأت حفلة التكريم لقدوم أخينا في الله الشيخ أنيس الرحمن بتلاوة آي من الذكر الحكيم تلاها الأخ شريف حسين - من الصف الثالث للمرحلة الإبتدائية - بلحن جميل كأن القرآن ينزل ، حتى جلس المستمعون الصامتون الخاشعون كأن على رؤوسهم الطير ، وبعد ذلك قدم الطلاب نشاطاتهم الثقافية والتعليمية أمام الحاضرين ، وكلهم كانوا مستعدين للمشاركة في النشاطات التعليمية واغتنموا هذه الفرصة الذهبية لتقديم المفاخر والمآثر أمام الحاضرين وأمام ضيوفهم الكرماء، فكما ألقى الأخ معين الدين - من نفس الصف - خطبة قيمة باللغة العربية الفصحى حول التوحيد والشرك ، ودعا الناس إلى الدخول في دين الله تاركين الأعمال الشركية والخرافات والأباطيل ، وكذلك خطب الأخ محمد شاه جهان - من نفس الصف - خطبة بليغة باللغة البنغالية وهي لغة المسلمين البنغاليين في هذه البلاد ، فلأجل ذلك أدرك المستمعون غاية الإدراك وفهموا الخطبة كل الفهم ، حتى أظهر خبرآء اللغة سرورهم البالغ عن اللغة التي إستخدمها الخطيب - الطالب - لتوجيه الأغراض والأهداف إلى المستمعين الحاضرين ، حتى قال كثير منهم بأن مدرسة الشرف الإسلامية نجحت في تحقيق أهدافها السامية وأنها وصلت إلى لفتة كريمة ونظرة سخية لأهل المثقفين الجدد وأهل الأثرياء والأغنياء الذين لا يمدون أيديهم بالمساعدة المالية إلا بعد أن برزت نتيجة قيمة من قبل المؤسسات التعليمية ، وأخيرا يردون ردًّا قاطعا على الأعداء الذين يكونون بالمرصاد ضد تعاليم الإسلام ويعيبون الإسلام والشريعة الربانية بين حين وآخر ، وفي نهاية نشاطات الطلاب التعليمية قام طفل من روضة الأطفال - الأخ إبراهيم - وقدم أحاديثا وردت في الكتب الستة مع الأسانيد - وهو إبن أقل من أربع سنة - ونقلها إلى لغة المستمعين حتى لا يكون شيء من الصعب في إدراك معناها ، وحينئذ ظهرت ملامح البشر على وجوههم ، فكما لفت أنظار الحاضرين الأخ عثمان غني - إبن أربع سنة - حيث بين آداب قضاء الحاجة مع الأدعية التي وردت في حديث الرسول ﷺ حتى بدأ المستمعون يكبرون ويهللون لإظهار السرور والفرح ويغتبطون بإحياء التاريخ الإسلامي في أعينهم الذي سمعوا من الآباء والأجداد وقرؤوا في الكتب التاريخية فينظر بعضهم بعضا بعين الإعتبار والغبطة ، وبعد ذلك فإن الشيخ عبيد القادر الندوي - المدير المؤسس لهذه الدار - وجه الدعوة إلى الضيوف الكرماء واحدا بعد واحد لإظهار إنطباعاتهم حول نشاطات الطلاب أمام الحاضرين حيث أنه يدير هذه الحفلة الكريمة ، فدُعي الشيخ عبد الرزاق الندوي لإلقاء الخطبة أمام هذا الحشد العظيم ، وخطب الأستاذ الندوي خطبة بليغة في ضوء معلوماته الواسعة وببراعته الدعوية وبأسلوبه الجميل لتوجيه الدعوة إلى الحاضرين حيث يستمع الحاضرون خطبته بكل شوق ورغبة حتى لا يسنم أحد في حديثه الطويل ، فحرض الطلاب على الدوام في مجال التعليم والتربية وإستمرار نشاطاتهم التعليمية والثقافية . ثم ألقى الأستاذ يحي يوسف الندوي ، فهو أديب بارع باللغة البنغالية ، وله عدة كتب

البقية على ص - ١٦

الاراء بين جميع رجال الأحزاب السياسية كلها إلا الجماعة الاسلامية " .

وقال الشيخ نذر الإسلام - الأمين العام للمركز - حول هذا البيان واستنكر استنكارا شديدا بإجراء بيان صحفي نشرته الجراند اليومية ان نائب الرئيس للبرلمان المتسر عبد الحميد أخطا خطا فاحشا في إدراك القوانين الإسلامية حول الميراث والتركة وتوزيعها بين البنات والأبناء ، وطلب الشيخ نذر الإسلام - محامي كبير للمحكمة العليا - من نائب الرئيس ان يرجع عن بيانه الخطير الذي يجرح الاسلام والشريعة بصفة عاجلة ، ويفسد هذا البيان مجتمع المسلمين أكثر مما يصلح حياة المرأة ، لأنه يعارض كل المعارضة مع أحكام القرآن و سنة الرسول ﷺ .

إستنكار العلماء ضد بيان نائب الرئيس للبرلمان ووزير الداخلية للبلاد

قال العلماء البارعون للبلاد في بيان صحفي نشرته الجراند اليومية في ٢٩ أغسطس ٩٩م : إن نائب الرئيس للبرلمان عبد الحميد خان رفض الشريعة الاسلامية بالقاء خطبة مضللة في ندوة حقوق المرأة حول تقسيم الميراث بين الوارثين ، حيث أنه أنكر رسالة القران وقوانينه الربانية في بيانه الخطير للإسلام والشريعة ، وقال العلماء : ان المسلم لا يستطيع أن يقول مثل هذا الكلام مهما كان وضع البلاد وظروفها حول حقوق المرأة ، كما أشرك وزير الداخلية بإلقاء البيان حول عظمة الشيخ مجيب الرحمن حيث أنه أعلن بأن الشيخ مجيب خالقنا (العياذ بالله) في برامج المبارة لكرة القدم ، ومما لا شك فيه بأن الناس لا يستطيع أن يكون خالقا ورازقا ، وإن الله تبارك وتعالى خلق كل شيء كما أنه خلق الشيخ مجيب وخلق وزير الداخلية مع أنه ينكر .

وكتب العلماء في هذا البيان الصحفي بأن المستر عبد الحميد ووزير الداخلية أجرحا قلوب المسلمين بهذه البيانات المضللة ، وطلبوا منهما التوبة واعلان رجوعهما من هذا الفكر السيء في هذا الصدد ، ووقع على هذا البيان الصحفي كثير من العلماء البارزين والمفكرين الإسلاميين في البلاد ، وكان على رأس قائمتهم فضيلة الشيخ أبو الكلام محمد يوسف ، والشيخ دلاور حسين سعيدي والشيخ عبد السبحان والشيخ كمال الدين الظفري والشيخ عبد الشهيد نسيم والشيخ فضل الرحمن والشيخ أبو الخير محمد عبد الرشيد والشيخ أبو محمد بذل الرحمن والشيخ عبد المنان .

بقية المنشور على ص - ٩

واختفى الأمن والإستقرار من المجتمع ، الأمر الذي أدى إلى إرتفاع معدل الجرائم بحق المرأة ، وارتفاع معدل الطلاق ، وبروز مشاكل عائلية في المجتمع ، وفي جميع الأحوال تكون المرأة هي خاسرة وضحية للظروف ، فاين رفاهية المرأة في ظل التغريب ؟ وأين كرامة المرأة في أطروحة " النسوية " (Feminism) ؟ وأين تقدم المرأة في ظل النظام العالمي الجديد ؟ وأين شرف المرأة في عصر تمكين المرأة (Woman Empowerment) ؟ والحقيقة أنه ليس بوسع التغريب ، ولا النسوية ولا النظام العالمي الجديد ، ولا التنمية المستدعة أن تضمن رفاهية المرأة ، وتصون حرمتها وكرامتها وحقوقها ، وتحقيق تقدمها ونهضتها ، وإنما هو الإسلام الذي يستطيع أن يحقق كل ذلك للمرأة ، لأنه دين الاعتدال ، ودين الفطرة ، ودين التقدم ، فيالليت المرأة - المسلمة وغير المسلمة - تدرك هذه الحقيقة ، وتؤمن بها ، وتعمل بموجبها فتكون سعيدة ، وفائزة ومنتصرة في الدنيا والآخرة .

بقية المنشور على ص - ٨

باللغة البنغالية كما له يد طولى في الأدب العربي ويستطيع أن ينقل اللغة العربية إلى اللغة البنغالية بكل سهولة فيصبغها بصبغة الأدب البنغالي حيث لا يستطيع القاري أن يفرق بين لغة الأصل ولغة المترجم ، وهو خبير من خبراء المقررات الدراسية الاسلامية حيث قام باعداد مقررات دراسية في ضوء المقررات الدراسية العالمية من جامعة الازهر بمصر إلى دار العلوم لندوة العلماء الهند جمعها بين القديم الصالح والجديد النافع ويدرس الطلاب في المعهد حسب هذه المقررات حتى يكون الطالب عالماً في العلوم الشرعية وحافظا للقران الكريم في وقت واحد ، فاظهر الندوي آراءه القيمة وإنطباعاته الثمينة بالقاء خطبة جياشة إيمانية في هذه الحفلة الكريمة كأنه كان من ذلك على ميعاد ، وأكد على ضرورة شد المنزر لإحياء تاريخ هذه المنطقة الإسلامية من جديد بالمشاركة في هذه المسيرة العلمية تحت لواء مدرسة الشرف الاسلامية حمله أعظم مفكري العالم الحاضر سماحة الشيخ الندوي ، وفي خلال خطبته كنت أفكر في نفسي إذا أمرني الأستاذ عبيد القادر الندوي بإظهار إنطباعاتي فماذا أقول ؟ وكيف أبدأ الكلام ؟ حتى خضت في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف للإستشهاد في مثل هذه الحفلة ، فوجدت آيتين واختطفت حديثا من الأحاديث الكثيرة حتى أمرت بإلقاء الخطبة حيث لا يحتاج المستمعون إلى مزيد من الكلام والبيان وإلى شحن صدورهم بشحن الإيمان والعقيدة في ضوء الكتاب والسنة بعد أن أملأ الخطباء البارعون صدورهم بخطبتهم الإيمانية التاريخية لتجديف هذه السفينة العلمية إلى الشاطئ.حيث ركب عليها كثير من المفكرين الإسلاميين العالميين ، وعلى رأس قائمتهم سماحة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي - أطال الله حياته لخدمة الإسلام والمسلمين - فامتثل الأمر - كاتب هذه السطور - وبدأ الكلام بعد الحمد على نعمة الله وتوفيقه للحضور في هذه الدار الإسلامية والتسليم على رسوله الأمين - أفضل الصلوات والتسليم- بالآية التي سمعها من شيخه سماحة الشيخ الندوي في رحاب ندوة العلماء حيث قرأ عليه التفسير في كل شهر رمضان المبارك أثناء دراسته في ندوة العلماء وذلك ما بين ١٩٨٦ - ١٩٩٤م. (للحديث صلة) .